جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان كلية العلوم الاجتماعية

شعبة الانثروبولوجيا د. عبد اللاوي ليندة

مقياس : ميادين الانثروبولوجيا

السنة الثانية LMD أنثروبولوجيا

عنوان المحاضرة: الاثنوغرافيا

المحاضرة العاشرة: الاثنوغرافيا، مفهومها ونشأتها

مقدمة:

ظهرت كلمة "اثنوغرافيا" للمرة الأولى عام 1772 لدى المؤرخ الألماني شلاتزر Schlazer لكي تعرف عن منهج ليني [1] لدراسة تاريخ الشعوب الخاص". وفي المدرسة الفرنسية ظهر مصطلح اثنولوجيا Ethnologie عام 1787 لأول مرة في كتاب شافان Chavannes دراسة عن التربية الفكرية مع مشروع لعلم جديد.[2]

يستخدم هذا المصطلح بمعنيين مختلفين: أولا بمعنى البحث الاثنوغرافي (الدراسة الميدانية)، وثانيا بمعنى الدراسة الاثنوغرافية (المونوغرافية)، لكن تتصف الاثنوغرافيا عموما بالدراسة المباشرة للمجتمعات الصغيرة أو الجماعات العرقية.

---

[1] نسبة الى عالم الطبيعة السويدس كارل فون ليني Carl Von Linné الذي قام بتصنيف لانواع النبات و الحيوان من خلال تحديد مزدوج يتميز فيه الكائن الحي بنوعه و جنسه.

[2] فيليب لابورت- **تورا جان**- بيار فارنييه، اثنولوجيا أنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص27

وتجمع هذه الدراسات بدرجات متفاوتة بين عناصر وصفية وأخرى تحليلية ، ولكن السمة الأساسية للاثنوغرافيا التقليدية تتمثل في كونها تركز على ثقافة ما أو مجتمع معين، وتبحث عن تعميمات نظرية أو مقارنة من وجهة نظر المثال الاثنوغرافي الحديث الى مالينوفسكي الذي ركز –كجزء من نظريته الوظيفية في المجتمع– على أولوية البحث الميداني والملاحظة بالمشاركة والى بواس الذي ناهض مثل مالينوفسكي – التاريخ التأملي لنظرية التطور ودعا الى الوصف الدقيق لثقافات معينة.[3]

مفهوم الاثنوغرافيا :

تعني الدراسة الوصفية لطريقة وأسلوب الحياة لشعب من الشعوب أو مجتمع من المجتمعات، واصطلاح الاثنوغرافيا (Ethnography) في بريطانيا يعني البحوث الوصفية والتحليلية التي قام بها علماء الانثروبولوجيا البريطانيون حول الشعوب والأقوام البدائية التي درسوها دراسة ميدانية ؛ وبالرغم من أن الاثنوغرافي يهتم بالدراسة الوصفية للمجتمعات البدائية والانثربولوجي الاجتماعي يهتم بالتحليل البنائي أو التركيبي للمجتمعات البدائية فان هناك ارتباط وتداخلاً وثيقاً بين هذين العلمين بخصوص الدراسات العلمية التي يقومان بها.

غير أنه في الولايات المتحدة الأمريكية لاتوجد هناك علاقة وثيقة بين علم الاثنوغرافيا وعلم الانثروبولوجيا الاجتماعي بل توجد علاقة مرتبطة بين علم الاثنوغرا فيا والاثنولوجيا . فالعالم هيرز

[3] **اظر نشارلوت** سيمور – شميث، **موسوعة علم الإنسان** ، المفاهيم **والمصطلحات** الأنثروبولوجية، **ترجمة محمد** الجوهرى، **ترجمة كتاب**: BY: CHARLOTTR SEYMOUR-SMITH, 2005 PALGRAVE DICTIONARY OF ANTHROPOLOGY، ص 36

كوفنتر يرى في كتابة (الإنسان وأعماله) بان الاثنوغرافي هو وصف للحضارات وبحث مشاكل النظرية المتعلقة بتحليل العادات البشرية للمجتمعات الإنسانية المتباينة.

والاثنوغرافيا من أقدم فروع المعرفة في علم الأنثربولوجيا عندما قام الأوربيون بوصف القبائل والشعوب المحلية في أمركا وإفريقيا واستراليا واسيا حيث وصفو أدواتهم وعاداتهم وتقاليدهم وكل ما يتصل بثقافاتهم المادية المختلفة وسرعان ما تبنى الانثروبولوجيون هذه المعلومات واستخدموها في دراساتهم لتطوير المجتمع البشري ، أما في علم الآثار فقد استخدمت هذه المعلومات من المجتمعات البدائية والبسيطة والتقليدية لنماذج مجتمعات ما قبل التاريخ والتاريخ القديم وذلك عن طريق عقد المقارنات البسيطة وحتى أسماء ووظائف الأدوات التي توجد في المواقع الأثرية أخذت من ما هو معروف لدى الشعوب البسيطة التي درسها ووصفها الاثنوغرافيون . وهكذا فإن استخدام الاثنوغرافيا في الآثار قديم قدم العلم نفسه.

على صعيد آخر، نرى أن بعض الأنثروبولوجيين العرب يتفقون على أن مصطلح اثنوغرافيا يطلق على الدراسة التي تعتمد على وصف ثقافة ما في مجتمع معين وتعتمد على منهج البحث الوصفي أو منهج الوصف معتمدا على الملاحظة المباشرة والمشاركة أحيانا ويوجه عنايته بالثقافات الانسانية والظواهر الاجتماعية بالوصف الدقيق.

اذ كان من المسلمين العرب ابن بطوطة والاوروبيين كريستوف كولومبوس قد قاموا بذلك تلقائيا دون ان يقصدوا التأسيس لهذا العلم. فالأثنوغرافيا من أقدم فروع المعرفة في علم الانثروبولوجيا عندما قام

الأوروبيين بوصف القبائل والشعوب المحلية في أمريكا و افريقيا وآسيا وأستراليا و وصفوا أدواتهم وتقاليدهم .[4]

ظروف نشأة الاثنوغرافيا:

اذا ذهبنا الى ظروف نشأة هذا النوع من الدراسات فسوف نرى أن لعصر النهضة دورا جوهريا بحيث كانت فترة النقاهة السياسية والاقتصادية والديمغرافية التي مرت بها أوروبا بعد اهوال حرب المائة سنة والطاعون الأسود سببا في تنامي الاهتمام بوصف الأوضاع السائدة هناك ، بحيث تؤرخ بداياتها، بشكل اصطلاحي .

مع سقوط القسطنطينية في أيدي الأتراك عام 1453 ، وهذا ما تسبب في هرب مثقفي المتوسط الشرقي نحو أوروبا الجنوبية.

بالإضافة الى ذلك، تأثر الرجال والنساء المثقفين باكتشافات البحارة بعد عام 1450، هنري البحار، الامير البرتغالي الذي مول أولى رحلات الاستكشاف ، ايراسموس، ايزابيلا ملكة اسبانيا التي أولت ثقتها لكريستوف كولمبوس، اليزابيت ملكة بريطانيا التي أطلقت بلادها لفتح العالم.

اكتشافات تقنية قادمة من المتوسط الشرقي (البوصلة ، دفة السفينة، الشراع المثلث..) أتاحت بناء نموذج جديد من السفن عرف باسم "كارافيل" وتميز بقدرة كبيرة —فقدت منذ وقت الفايكينغ– على مجابهة الريح العاتية.[5]

---

[4] د.جوهري ، علياء شكري، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا ، الدولية للاستثمارات الثقافية ، ط1، 2008، ص 19

ساهمت كل هذه الاكتشافات في بلوغ الأوروبيين كل شعوب العالم وتمكنوا من رسم الخرائط لشواطئها البحرية ومناطقها البرية التي مكنتهم من ملاقاة شعوب مجهولة وغريبة اثارت فضولهم واهتمامهم .

فانطلق هؤلاء من جمع من التساؤلات تأتي على رأسها: هل هؤلاء بشر ام حيوانات؟ هل لهم تكوين مماثل؟ اهم من سلالة آدم؟ واذا كان الجواب نعم ، فكيف تفرقوا هكذا وعلى اثر أية هجرات؟[6]

كلّها تساؤلات جوهرية انطلق منها العديد من مؤسسي ورواد الاثنوغرافيا وأعدّوا مادة اثنوغرافية وفيرة بجمع أكبر قدر من المعلومات حول شعوب متفرقة ومختلفة في مناطق متباينة من العالم ، تم على أساسها تصنيف وتحليل الثقافات البشرية في اطار المحطة الثانية وهي : الاثنولوجيا.

---

[5]فيليب لابورت- **تولارا جان**- بيار فارنييه، اثنولوجيا أنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص ص 21-22

[6]الرجع نفسه، نفس الصفحة.

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان — كلية العلوم الاجتماعية
شعبة الانثروبولوجيا — د. عبد اللاوي ليندة

مقياس : ميادين الانثروبولوجيا

السنة الثانية LMD أنثروبولوجيا

عنوان المحاضرة: الاثنولوجيا

المحاضرة الحادية عشر: مفهومها ، اهتماماتها وظروف نشأتها

مقدمة:

ان اهتمام الأنثروبولوجيا بدراسة المجتمعات الانسانية كلها، وعلى المستويات الحضارية كافة، يعتبر منطقا أساسيا في فلسفة علم الأنثروبولوجيا واهدافها. ولكن على الرغم من التوسع في مجال الدراسات الانثروبولوجية، فما زالت الاهتمامات التقليدية للأثروبولوجيا ، ولا سيما وصف الثقافات وأسلوب حياة المجتمعات ، ودراسة اللغات واللهجات المحلية وآثار ما قبل التاريخ ، تؤكد ولا شك، تفرد مجال الأنثروبولوجيا عمّا عداها من العلوم الأخرى.

ومن هنا كانت أهمية الدراسات الانثروبولوجية في تحديد صفات الكائنات البشرية ، وايجاد القواسم المشتركة فيما بينها، بعيدا عن التعصب والأحكام المسبقة التي تستند الى أية أصول علمية.

مفهوم الاثنولوجيا:

هي العلم الذي يدرس الأعراف والسلالات البشرية وهي التي تقصد الاثنيات الاجتماعية وهي جمعيات اجتماعية تشترك في أنماط ثقافية وسلوكية مما يدفع الأفراد الى احترامها وممارستها [7]او علم الثقافات المقارن: فموضوعها الأساسي هو الثقافة .أي أنها تركز على دراسة اما الاثنولوجيا سلوك الإنسان أينما وجد. وهى تهدف إلى تسجيل الأشكال والأنماط السلوكية في أي مكان.

ان كلمة الاثنولوجيا ذات اصل يوناني Ethnos بمعنى دراسة الشعوب ولذلك فهي تدرس خصائص الشعوب اللغوية والثقافية والسلالية أي دراسة الصفات والخصائص المميزة لأجناس الإنسان من حيث الملامح الفيزيقية والخلقية السائدة بين البشر وكذلك العلاقات القائمة التي تربط بين الأجناس[8].

هي الدراسة التحليلية والمقارنة للثقافات أو الشعوب ، تمثل السلالة وحدة الدراسة الأساسية فيها، كما عرفها علم الاثنولوجيا السوفييتية أو الأوروبية . وقد عرف كروبر ميدان دراسة الاثنولوجيا بانه يشمل كلا من الثقافة والتاريخ والجغرافيا.

بينما ميز رادكليف براون الاثنولوجيا التي تعني في رأيه الدراسة التاريخية والجغرافية للشعوب ، عن الدراسة الوظيفية للأنساق الاجتماعية والتي أطلق عليها مصطلح الانثروبولوجيا الاجتماعية.

---

[7] د.جوهري ، علياءشكري، مقدمة في درلسة الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص ص19-20

[8] أزهري مصطفى صادق على، الأنثروبولوجيا الطبيعية والثقافية (علم الإنسان الطبيعي والثقافي).، مرجع سابق، ص 2

اهتمامات الاثنولوجيا:

يستخدم مصطلح الاثنولوجيا بدلا من مصطلح الانثروبولوجيا في العديد من الدول الأوروبية، وخاصة دول شرق أوروبا، حيث يعتقد أنه لا يمكن أن يكون هناك علم لدراسة الانسان بدون الدراسة التاريخية المقارنة للشعوب، وهكذا تجمع الاثنولوجيا بين الدراسة التاريخية و الدراسة الميدانية للثقافات الجماهيرية – والشعبية والقبلية وبين المقارنة الثقافية والتعميم بين الثقافات المتباينة.[9]

اذن، هي الدراسة المقارنة للثقافات المعاصرة والثقافات التي تتوفر عنها وثائق تاريخية (تجميع وترتيب وتنظيم البيانات الاثنوغرافية) وهذه الدراسة المقارنة قد تكون في الزمان أو المكان، أي انّ عملية المقارنة قد تكون تتبعية ''تاريخية'' أو تزامنية ''معاصرة'' بتعبير البنيويين، بحيث أننا نحصل على مجموعة أو عدد كبير من الملفات الخاصة بحياة الشعوب والمجتمعات نقوم بتنظيمها وتجميعها وإظهار التمايزات أو المفارقات بينها، ثم تبدأ بعد ذلك عملية التحليل والتنظير وهنا فقط تشرع الانثروبولوجيا وتبدأ حيث تنتهي الاثنولوجيا.

انها أيضا، دراسة الثقافة على أسس مقارنة وفي ضوء نظريات وقواعد ثابتة، بقصد استنباط تعميمات عن أصول الثقافات وتطوّرها، وأوجه الاختلاف فيما بينها، وتحليل انتشارها تحليلاً تاريخياً ، فتعدّ الأثنولوجيا فرعاً من الأنثروبولوجيا، وتختصّ بالبحث والدراسة عن نشأة السلالات البشرية، والأصول

---

[9] **شارلوت** سيمور – شميث، **موسوعة علم الإنسان** ، المفاهيم **والمصطلحات** الأنثروبولوجية، **مرجع سابق، ص** 37

الأولى للإنسان، ويدخل في ذلك دراسة أصول الثقافات والمناطق الثقافية، وهجرة الثقافات وانتشارها والخصائص النوعية لكل منها، ودراسة حياة المجتمعات في صورها المختلفة.

الاثنولوجيا والاثنوية:

اذا كان علم الانثروبولوجيا ، بدراساته المختلفة ، قد استطاع أن ينجح في اثبات الكثير من الظواهر الخاصة بنشأة الانسان وطبيعته ، ومراحل تطوره الثقافي / الحضاري ، فان أهم ما أثبته هو، أن الشعوب البشرية بأجناسها المتعددة، تتشابه الى حد التطابق في طبيعتها الأساسية، ولا سيما في النواحي العضوية والحيوية .[10]

أما على المستوى الحضاري والثقافي ، فالاثنولوجيا هي نفسها شأن حضاري، تقليد عريق ينتقل من جيل الى آخر. وهي لذلك جديرة بتحليل اجتماعي وتاريخي يبين ركائزها الأساسية ، اذ لا تمارس الدراسة الاثنولوجية ضمن مجتمع أو من باحث فردي ، الا من اللحظة التي يلغي فيها هؤلاء المقاومة التي يبدونها لسماع الآخر أو لاعتباره.

هذه المقاومة هي سمة عالية، وهي تحمل اسم التمركز الاثني أو الاثنوية. ولفهم أعمق لا بد من الوقوف على أهمية هذا المصطلح وشرحه بالتفصيل، كونه مشتق من أول جزء يؤسس لفظ اثنولوجيا.

الاثنوية:

[10] عيسى الشماس، مدخل الى علم الانسان(الأنثروبولوجيا)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص17

تقسّم البشرية السلالات عضوية دون حدود واضحة وهي تقسم بدورها الى مجموعات اثنية، جغرافية، قومية تمتلك حضارات مختلفة وتنقسم هي الاخرى الى تجمعات تتميز عن بعضها بالقرابة والمسكن والمعتقدات والطقوس.

ان البشر بطبيعتهم يتّصفون بالكلام، ولكنهم لا يتكلمون جميعا نفس اللغة وتنوعهم الطبعي والثقافي يجعلهم عرضة لاختلافات كثيرة . ينسجم أعضاء كل من تلك المجموعات فيما بينهم ومع المجتمع الذي ينتمون اليه.

وما يضمن هذا الالتزام هو الالتزام بقوانين المجموعة ، حتى وان لم يكن كاملا، اذ يفترض المخلون منحرفين. والمجتمع الذي لا يتوصل الى اقامة حد أدنى من التفاهم بين أعضائه عاجز عن الاستمرار.

من جهة أخرى، فان التشابه والترابط بين المجتمعات المختلفة لا يتم بصورة تلقائية. فالتوحد بين الخصوصيات المختلفة ليس من طبع البشر، بينما يشكل الاختلاف الاجتماعي والثقافي سببا دائما للخلاف لكونه غير مستساغ.

والمجموعات المتنافرة لا تنظر الى خصومها كبشر، وانما كحيوانات أو ما دون مستوى البشر أو برابرة او غرباء. هكذا يصبح من الممكن ، ومن المرغوب أيضا أن يمارس عليهم ما يخطر فعله مع أعضاء المجموعة بسبب رابطة التضامن : التنكيل والتعذيب والقتل والتشنيع والاستعباد والابادة والتطهير العرقي.

ولا يكمن للمسيرة الاثنولوجية ان تبدأ الا عند اللحظة التي ينظر فيها الانسان الى حضارته على انها خاصة، أي عند اللحظة التي يتوقف فيها عن اعتبار الأخر بربريا. في تلك اللحظة ، نكون قد وصلنا، دون شك، الى حوار الحضارات. ويجب عدم الخلط بين الاثنوية والعنصرية .

فالعنصرية تقضي:

- ✓ باعتبار أنه توجد اعراق مختلفة
- ✓ و بأن بعض الأعراق أدنى من الأخرى (أخلاقيا وفكريا وتقنيا)
- ✓ و بأن تلك الدونية ليست اجتماعية او ثقافية (أي مكتسبة) ، بل هي فطرية وحتمية من الناحية العضوية.

من ناحية ثانية، تقتضي الاثنوية اعتبار الحضارة الخاصة والقوانين الاجتماعية الخاصة (الموضوعة ثم المكتسبة) أعلى من كل الاخريات. [11] وتبقى صورة "الآخر" التي أصبحت تؤخذ من منطلقين اثنين أو من وجهين :

- الوجه الاول: وجه الحكيم القديم
- الوجه الثاني: وجه المتوحش.

والاثنان ألقيا بظلهما على الغرب ودفعاه الى نظرة نقدية والى اعادة النظر بمراجعه الثقافية، حيث قدم له الاول الحكمة العميقة للعقل الفلسفي ويسّر له الآخر التعرف على البراءة الطبيعية.[12]

---

[11] فيليب لابورت- **تولارا جان**- بيار فارنييه، اثنولوجيا أنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص ص19-20

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان كلية العلوم الاجتماعية
شعبة الانثروبولوجيا د. عبد اللاوي ليندة

مقياس : ميادين الانثروبولوجيا

السنة الثانية LMD أنثروبولوجيا

عنوان المحاضرة: الأنا و الآخر

المحاضرة الثانية عشر: الأنا و الآخر من المنظور الاثنولوجي

تمهيد :

كان على الأوروبيين المرور من مراحل كي يتم الاعتراف بالآخر " المتوحش". لقد أدمج هذا المتوحش لأول مرة في العقل الأوربي ضمن الآدميين ابتداء من منتصف القرن السابع عشر مع فلاسفة الأنوار، خاصة مع ظهور مفهوم المتوحش الطيب Le bon sauvage الذي يجسد "طفولة الانسانية" من المنظور الاثنولوجي.

فحسب شارل مونتيسكيو Charles Montesquieu فهذا المتوحش ببراءته وصفائه وقربه من الطبيعة أصبح موضوع تمجيد مقارنة بالانسان الغربي الذي أفسد الجشع المادي والحضارة سلوكه الانساني الفطري. ومع جان جاك روسو Jean Jaques Rousseau عرف مفهوم المتوحش

[12] المرجع نفسه، ص 22

الطيب بعده الفلسفي في كتابه " خطاب حول أصول اللامساواة بين البشر[13] والذي اعتبر أن الانسان يولد طيبا ولكن الحضارة هي التي حولت طبيعته الأصلية ليصبح على ما هو عليه من شر. ان فلسفة الأنوار في بحثها عن " الجنة المفقودة " وجدت في الانسان "البدائي" غايتها ونموذجها من اجل انتقاد الحضارة وما وصل اليه الانسان الاوروبي من انحطاط على مستوى القيم الانسانية المثلى.

هذه الفلسفة هي التي مهدت لادماج الانسان "المتوحش" و" البدائي" في دائرة المجتمعات الانسانية وتوسع دائرة الاهتمام به ليس ككائن حيواني بل كبشر.

ان دفاع فلاسفة الانوار عن هذه الشعوب وقيمها لم يضع حدا للنظرة المتعالية التي يظل الغرب ينظر بها لهذه المجتمعات. فحتى حين اعترف بإنسانيتها ، ظلت في أسفل درجة التقدم بالنسبة لهم وفي احسن الاحوال ترمز الى "طفولة الانسانية"[14]

لكن يشير فريق من العلماء الانثروبولوجيا الى أن ثمة شيئا هاما يميز مجال هذا العلم عن مجالات الدراسة في العلوم الأخرى ، وهو الذي يتمثل في : سعة أفق هذا المجال حيث تعنى الانثروبولوجيا بمشكلات الحياة الانسانية كما تقع في أوسع مدى ممكن من المجتمعات الانسانية[15] .

وفي هذا السياق أيضا فان الأنثروبولوجيا تختلف من حيث الطريق الذي تتخذه لنفسها لتدخل منه الى المشكلات التي تتعامل معها. وتواجد أساس هذا المدخل المتميز في ذلك الاهتمام المتغلغل في نفس الأنثروبولوجي وعقله ووجدانه، بالثقافة كأساس للحياة الانسانية.

---

[13] Rousseau J-J, Discours sur l'origine et les fondements de l'inégalité parmi les hommes, Marc Michel Rey. MDCCLV, Amsterdam, 1755.

[14] رحال بوبريك، مدخل الى الأنثروبولوجيا، دار أبي رقراق للطباعة و النشر، الرباط، 2014، ص ص 15-16

[15] Swartz, M.Etal, Anthropology, London, 1972, p5

ونظرا لتعلقه الشديد بمسألة الثقافة، وتحقيقا للمزيد من فهمها، يقوم الأنثروبولوجي بجمع المعلومات التي يحتاجها، من خلال تكوين أقصى ما يستطيع من علاقة وثيقة وعميقة مع من يقوم بدراستها[16].

وفيما يخص الثقافات الانسانية ، ثمة نظم فكرية عديدة تهتم بالبحث في الطبيعة البشرية ومنجزات الانسان، وفي العلاقات بين الكائنات الانسانية، بعضها قديم والآخر حديث. ويمكن النظر اليها على أنها فروع وشعب للدراسة المشروعة للإنسان.

ان أقدمها يتمثل في تلك الاسهامات التي تمت في مجالات الفلسفة الاخلاقية، وعلم اللاهوت، وتاريخ الأساطير، ومختلف التفسيرات التي وضعت للقانون القديم والعرف. كما أن بالإمكان تتبع مثل هذه الاسهامات، في الثقافات الممتدة الى العصر الحجري، حيث ازدهرت ازدهارا ملحوظا في الحضارات القديمة للصين، والهند ، وغرب آسيا ، ومصر.

البعد الأورومركزي في بدايات الاثنولوجيا:

تعتبر الجهود الفكرية الاخرى مثل تلك التي بذلت في مجالات : علم الاقتصاد، وفقه القانون، وعلم السياسة، وعلم الجمال، وعلوم اللغة ، والاركيولوجيا ، والدراسة المقارنة للأديان، بمثابة اسهامات جديدة واضافات للاتجاه الانساني. كما أضيف علمان جديدان في القرنين الماضيين الى قائمة الدراسات الأكاديمية الرسمية، وهما : علم النفس، وعلم الاجتماع.

[16] Beals, R.Etal, AZn introduction to Anthropology, 5th edition, London, pp18-20

أما عن الانثروبولوجيا فقد جاءت بعد كل هذه النظم الفكرية والعلمية، وكان لزما عليها ان تقوم بمهمة تحديد : مجالها و موضوع دراستها، ومنهجها في البحث. انها تتكون من در سات معينة مثل: علم آثار ما قبل التاريخ، والفلكلور ،الانثروبولوجيا الفيزيقية ،والانثروبولوجيا الثقافية[17]

واذا كانت للأنثروبولوجيا مواضيع ومجالات بحث مشتركة مع علم الاجتماع ، فان ذاك الخيط الرفيع الذي يفرق بينهما تم توضيحه بدقة مع النصف الثاني من القرن التاسع عشر أين جاء التقسيم الشائع اليوم بحيث تهتم السوسيولوجيا كعلم يدرس المجتمعات الحداثية والانثروبولوجيا كعلم يدرس المجتمعات التقليدية[18].

وعن محل الاثنولوجيا من كل هذا ، فهي ، بصرف النظر عن التبريرات التي تكمن وراء هذا التقسيم، لا يخفى البعد الأوروميركزي القائم على تفوق أوربا عن باقي المجتمعات واعتبارها مرجعا كونيا للمجتمعات الانسانية في تطورها.

فيوجد الأنا الاوروبي ومجتمعات "الآخر" المغاير غير الأوربي. ان ارتباط الانثروبولوجيا بدراسة "الآخر " جعلها علما على دراسة الاختلاف altérité من منطلق الأنا الاوروبي ومرجعياته وأطر تفكيره ولكن هذا المنطلق استمر لمدة عقود ولم تتخلص منه الانثروبولوجيا عامة والاثنولوجيا خاصة الا ابتداء من منتصف القرن العشرين بعد مراجعات فلسفية وايديولوجية وسياسية عرفها العقل الغربي.

---

[17] **أظر**:
Maliniwski, B, A scientific theory of culture and other essays, Oxforduniversity press, New York, 1960
[18] رحال بوبريك، مدخل الى الانثروبولوجيا، مرجع سابق، ص 17

ان نظرية سمو عرق على عرق آخر والتي تأسست عليه الأنثروبولوجيا في بدايتها مع النظرية التطورية، لم تلبث ان تم تجاوزها خاصة أن أوربا، مهد هذه الايديولوجيات العنصرية، ستكتوي بنارها مع ظهور النازية. فألمانيا مثلا عند قيام الحرب العالمية الثانية ستقوم على أساس سمو العرق الآري عن كل الأعراق بما فيها الاوروبية، وانطلاقا من هذه النظرة قاد ادولف هتلر حمل وعسكرية شرسة انتهت باحتلال بلدان مجاورة وسن سياسة ابادة ممنهجة ضد اليهود وأقليات أخرى (الغجر) في اوروبا نفسها على أساس ديني واثني.[19]

[19] المرجع نفسه ، ص ص17-18

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان كلية العلوم الاجتماعية

شعبة الانثروبولوجيا د. عبد اللاوي ليندة

مقياس : ميادين الانثروبولوجيا

السنة الثانية LMD أنثروبولوجيا

عنوان المحاضرة: الاثنولوجيا وعلم الاجتماع

المحاضرة الثانية عشر: علاقة الاثنولوجيا بعلم الاجتماع

تمهيد:

ان اهتمام الاثنولوجيا ودخولها ميدان البحث في التنظيم والترتيب لاجتماعي يقربها من علم الاجتماع. فالقوا ان دراسة أنماط وأنواع النظم الاجتماعية هي احدى أشكال الحضارة وبالتالي تقع ضمن دائرة الاثنولوجيا .

لا يغير هذا القول من الحقيقة الواقعة وهي أن هناك علمين اجتماعيين : الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع ، ويقومان بدارسة موضوع واحد.[20]

[20] محمد رياض، الانسان – **دراسة في النوع و الحضارة**- ، الطبعة الثانية ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1974، ص ص 30-31.

ان المسار التاريخي الذي فكك بنية المنظومة الايبستيمولوجية والتي قسمت الحقول المعرفية في العلوم الاجتماعية حسب الجغرافيا والموطن والجنس ودرجة "تطور" ببنية المجتمع. فلم تعد الأنثروبولوجيا محصورة، جغرافيا وايديولوجيا ، على المجتمعات المسماة ، تعسفا، "ببدائية" أو "متوحشة" او "تقليدية" و من هنا ما أصبح يحدد الانثروبولوجيا هو أولا منهجيتها و مقاربتها و ليس موضوع بحثها وميدانه الجغرافي.

لذا نجد من جهة ان المجتمعات الاوروبية المصنعة والمتقدمة عموما أضحت موضوعا للأبحاث الأنثروبولوجية بما فيها دراسة المواضيع الأكثر حداثة مع الانثروبولوجيا الحضرية والصناعية، ومن جهة أخرى مجتمعات تقليدية أصبحت بدورها موضوعا للسوسيولوجيا.

الفرق بين الاثنولوجيا وعلم الاجتماع :

اذا أردنا اقامة الفرق بين علمي الاثنولوجيا و علم الاجتماع فلن تكون المهمة بتلك السهولة ، لان لكلا العلمين اهتمامات ومواضيع ومناهج مشتركة تجعل منهما اثنين من العلوم الاجتماعية الأقرب الى بعضهما البعض. ولا يتوقف الأمر على هذا فقط ، بل وعلى تقنيات وأدوات منهجية يتم تداولها في الدراسات الميدانية لكلا العلمين.

والفاصل الشائع بينهما يقول ان الاثنولوجيا هي علم الحضارة، بينما علو الاجتماع يختص بالمجتمع. وهذا التمييز بين العلمين يؤدي في رأي الأستاذ فيلمز Emilio willems [21] الى فصل

[21] Willems, E, « Ethnologie » in « Soziologie » Fisher Lexikon, ed.R, Koenig, Frankfurt, 1958, p 53.

خاطئ، كما يؤدي الى الخطأ في فهم مناهج وهدف العلمين، فهما معا – كما يقول فيلمز – يدرسان المجتمع على أساس أنه مجموعة من النظم التي تنظم علاقات الأفراد.

ولكننا اذا نظرنا الى الى العلمين نظرة تاريخية فاننا نجد في تاريخ كل منهما ما ميز الآخر.

وأهم أوجه الاختلاف هي:

1- اختلاف النشأة

2- ميدان التخصص

3- مناهج البحث

ففي عصر هربرت سبنسر Herbert Spenser وادوارد تايلور Eduard Tylor كان العلمان قريبان من بعضهما البعض، ولكن بدخول النهج التطوري الداروينيي في التفكير بدأ الانفصال والابتعاد يتضح ويزداد.

لقد ظهرت في الاثنولوجيا في ذلك الوقت اتجاهات منهجية واتجاهات عملية وتجريبية تربط بين الاثنولوجيا والتاريخ الطبيعي البشري. وكما كان تخصص علماء النبات وعلماء الحيوان وعلماء البيولوجيا ، أصبح اثنولوجيو هذه الفترة ينظرون الى الحضارة- دراستها ووصفها- على أنها أهم ان تكن كل موضوع تخصصهم.[22]

[22] محمد رياض، الانسان – **دراسة في النوع و الحضارة، مرجع**سابق، ص ص 31-32

على صعيد آخر، يعد علم الاجتماع من أحدث العلوم الأساسية وأهم العلوم الانسانية. لذلك يعرف بأنه : العلم الذي يدرس الحياة الاجتماعية بجميع مظاهرها، ويتحرى أسباب الحوادث الاجتماعية و قوانين تطورها[23]

ويعرف بصورة أوسع بأنه: أحد العلوم الانسانية الهامة التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر، وهو من العلوم التي تحاول الوصول الى قوانين وقواعد تفسر الظواهر الاجتماعية، سواء كانت هذه الظواهر في شكل جماعات بشرية، أو نظم ومؤسسات اجتماعية أو انسانية.

وهو بالتالي ، العلم الذي يساعد في تكيف الفرد والمجتمع للعيش معا، ضمن أهداف معينة يسعون الى تحقيقها، من أجل التقدم والاستمرارية.[24]

وعليه علم الاجتماع يدرس العلاقات بين الأفراد وعمليات التفاعل فيما بينهم ، وتصرفاتهم كأعضاء مكونين لهذه الجماعة. فهو يركز على سلوكات الأفراد ضمن هذا المجتمع أو ذاك، ويدرس بالتالي تأثير البيئة الاجتماعية (الاقتصادية و الثقافية) في تكوين الشخصية الانسانية ، وتحديد العلاقات بين الأفراد[25]

هكذا نجد أن ثمة صلة من نوع ما، بين علو الاجتماع والأنثروبولوجيا، بالنظر الى أن كلا منهما يدرس الانسان. ويتجاوز الترابط بينهما المعلومات التي تهدف كل منهما الحصول عليها، الى منهجية البحث من حيث طريقته وأسلوبه، الى حد تسمى الأثنولوجيا عنده، بعلم الاجتماع المقارن، على

---

[23] الحصري ساطع، أحاديث في التربية و الاجتماع ، دار العلم للملايين، بيروت، 1985، ص 8
[24] عيسى محمد طلعت ، مدخل الى علم الاجتماع ، دار المعارف ، بيروت، 1986، ص 13
[25] الجيوشي فاطمة و الشماس عيسى ، التربية العامة، جامعة دمشق- كلية التربية-، 2002-2003، ص 59

الرغم من أنها تهتم بالجانب الحضاري عن الانسان، بينما تقترب دراسة علم الاجتماع من الأنثروبولوجيا الاجتماعية.[26]

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان كلية العلوم الاجتماعية

شعبة الانثروبولوجيا د. عبد اللاوي ليندة

مقياس : ميادين الانثروبولوجيا

السنة الثانية LMD أنثروبولوجيا

عنوان المحاضرة: المنهجية في الاثنولوجيا

المحاضرة الثالثة عشر: المنهجية في الاثنولوجيا

أهمية الميدان في الدراسات الاثنولوجية :

مرّ انتقال الانثروبولوجيا في دراستها للمجتمع الاوروبي بمراحل، ففي البداية اهتمت الأنثروبولوجيا ببقايا المجتمع التقليدي الاوروبي من طقوس ومعتقدات وممارسات وبنيات اجتماعية واقتصادية، خاصة في الوسط القروي، مستفيدة مما راكمته، نظريا ومفاهيميا وميدانيا في المجتمعات غير الاوروبية.

وكانت الأنثروبولوجيا وهي تنتقل في دراساتها للمجتمعات المصنعة والمعقدة والحداثية ، محافظة على نهجها الاول المتمثل في دراسة ما هو تقليدي .[27]

---

[26] عيسى الشماس، مدخل الى علم الانسان(الأنثروبولوجيا)، مرجع سابق، ص 38

في رحلتها هذه، انتقلت الأنثروبولوجيا من دراسة المجتمعات البعيدة جغرافيا عن موطن أنثروبولوجي تلك اللحظة، وما كان يسمى في الأدبيات الأنثروبولوجية ب"أنثروبولوجيا المكتب" أو "أنثروبولوجيا الأرائك"، أين يعتمد الدارسين على ما كتبه ونقله الرحالة والمبشرون والاداريون والعسكريون الاستعماريون والمستكشفون والتجار والمغامرون... الى الدراسة الحقلية والميدانية على يد برانيسلاف مالينوفسكي وزملائه .

كان لهؤلاء دورا جوهريا في توفير منهجية علمية وعملية للتحقيقات الميدانية في البحث الأنثروبولوجي بوضع دليل المقابلة وارساء قوانين وضوابط الدراسة الميدانية بالتأكيد على ضرورة استخدام تقنية الملاحظة بالمشاركة وابراز مميزات وخصائص المجتمعات الانسانية والمقارنة بينها.

ومن ثم أضحى الميدان هو مختبر الباحث الانثروبولوجي الذي أصبح ضروريا القيام فيه بتجربة علمية لاختبار نظرياته عبر جمع المعلومات مباشرة والتحري المكثف طويل الأمد .

هذه النهجية ستقترن كحقل معرفي بالميدان حتى أصبح أي تعريف للأنثروبولوجيا لا يفصلها عن الدراسة الميدانية كمكون لمقاربتها الشمولية للمجتمعات ، مع الاشارة الى أنه لا يمكن حصر واختزال تعريفها في البحث الميداني.

الملاحظة بالمشاركة:

[27] رحال بوبريك، مدخل الى الانثروبولوجيا، مرجع سابق، ص 19

يعتبر مالسنوفسكي Bronislaw Malinowski أول الانثروبولوجيين الذين تبنوا البحث الميداني عبر تقنية الملاحظة بالمشاركة Observation participante التي أصبحت لصيقة باسمه.

وضع مالينوفسكي في كتابه [28] حول قبائل أرغكونو Argonauts بجزر التروبرياند بغينيا الجديدة بالمحيط الهادي الصادر سنة 1922، أسس هذه التقنية و منهجية تطبيقاتها ، محدثا بذلك قطيعة منهجية مع ما كان الانثروبولوجيين يعتمدون عليه من كتب رحالة و تجار وغيرها من المعلومات حول هذه الشعوب البعيدة.[29]

لكن العمل الميداني ليس أمرا سهلا ، فالأنثروبولوجيين كانوا يقومون بالأبحاث ميدانية لدى شعوب بعيدة ، مجاليا وثقافيا وحضاريا عن مجتمعاتهم، فكان عليهم أن يتأقلموا مع البيئة والطقس ونظام الاكل ، ومواجهة ماطر صحية وأمنية ورفض من طرف المجتمع المدروس.

فبعض الباحثين فشلوا في ربط علاقة مع ميدانهم وتم رفضهم من طرف المجموعة المقصودة بالدراسة.

فمن جهة، على الباحث أن يراعي توازنات داخل المجتمع والتعامل بحذر مع مخاطبيه خاصة أنه يظل انسانا غريبا عنهم ومحط حذر وحيطة بالنسبة اليهم. فأسئلة الانثروبولوجي قد تستفز المبحوث وتثير نعرات قديمة بين أفراد المجموعة عن غير قصد من الباحث نفسه.

[28] Malisowski , B, Argonauts Of The Western Pacific, George Routledge ans sons ; E.P.Dutton and company, New York, 1992

[29] رحال بوبريك، مدخل الى الانثروبولوجيا، مرجع سابق، ص ص32-33

و اذا أضفنا الى ذلك أنه ليست كل المواضيع قابلة للدراسة و التساؤل العلمي فيبقى نجاح البحث الميداني رهين العديد من العوامل التي تخرج عن سيطرة و ارادة الباحث نفسه.

ودائما فيما يخص المنهج ، يمكننا القول أيضا لملا حظة بالمشاركة ليست التقنية الوحيدة المستعملة من طرف الاثنولوجيين ، بل هنالك أيضا مناهج السيرة التي ظهرت مع مدرسة شيكاغو في دراستها للفئات المهمشة والمهاجرين والعمال ومختلف الأقليات الأخرى ، وكذا تقنيات وأدوات اخرى مختلفة كالوثائق الشخصية والعائلية المكتوبة من تقارير وأرشيف ووثائق تتضمن معطيات عن المجموعة المدروسة .

ومع تجاوز التقسيم الجغرافي في تحديد هوية الانثروبولوجيا أصبحت منهجيتها هي التي تميزها عن باقي العلوم الانسانية الأخرى. وبقيت هذه المنهجية وفية للمنهج الكيفي ودراسة الوحدات الصغيرة (قبيلة، قرية، حي...) وما يطبع هذه المنهجية أيضا هي نزوعها نحو المقاربة الكليانية holiste في دراية شمولية لموضوع البحث .[30]

من جانب آخر، ودائما فيما يخص البحث الاثنولوجي، على الباحث أن يكون فكرة شاملة وتفصيلية عن مجتمع البحث وعن عاداتهم وتقاليدهم والاعراف والطقوس والدين واللغة، النظم والقيم ، الأكل واللباس ، التفكير ونمط الحياة بما فيها من علاقات اجتماعية ، المقدس والمدنس الى غير ذلك من الخصوصيات التي يتميز بها مجتمع البحث لأن لا يؤسس ذلك عائقا قد يحول دون

[30] المرجع نفسه، ص 40

نجاح الدراسة الميدانية أو قد يتسبب في فشل الباحث في توغله واندماجه مع مجتمع البحث لبناء جسور الثقة معهم واستنطاق واقعهم المعيش .

ان الحديث عن المنهجية يطرح مسألة اخرى ذات أهمية بالغة في نجاح البحث الاثنولوجي، وهي "الموضوعية". انها تشكل أكبر هاجس قد يعترض الباحثين في هذا المجال ، لأنه لا يمكن للباحث أن يتخلى تماما عن آرائه ومواقفه وشخصيته بغية تفادي الذاتية والتحلي بأكبر قدر من الموضوعية، لأن عليه أيضا أن لا ينغمس تماما مع مجتمع البحث للتمكن من ملاحظة ما هو غير مألوف ويبقى خاص بمجتمع الدراسة.

وفي هذا السياق يؤكد مالينوفسكي B. Malinowski في مقدمة كتابه حول قبائل " ارغكونو" أساس منهجية الدراسة الحقلية و الميدانية :

- ان يشارك الباحث الاهالي في حياتهم اليومية مما يحتم عليه أن ينقطع عن أفراد مجتمعه الأصلي (مجتمع البيض حينئذ) و أن يبقى أكبر مدة ممكنة باتصال مع الاهالي موضوع الدراسة و الاقامة معهم و مشاركتهم حياتهم اليومية و تقاسم شروطها.
- ان يتعلم لغة المجتمع المدروس و يسعى الى الاندماج فيه، و يتوقف في لان يقبل داخل المجموعة كواحد من أفرادها.
- ان ينقل بأمانة ما عايسه بجمع المعلومات عن الوقائع مباشرة و ليس ما نقل عبر مخبرين.

- ان ينقل مختلف مستويات الواقع: ما هو متفق عليه في اطار أعراف و مواثيق المجتمع ، و ما هو ممارس في الواقع و التأويلات التي يعطيها المجتمع لمختلف أنماط سلوكاته.
- ان يتخلى الباحث عن أفكاره المسبقة و معلوماته التي تلقاها في تكوينه.[31]

[31] المرجع السابق، ص ص 34-35